فَضِيلَةَ الإِمَامِ الأَكبَرِ.
- أَصحَابَ الفَخَامَةِ.
- أَصحَابَ الفَضِيلَةِ.
- السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ.
المَوضُوعُ المَطرُوحُ مَوضُوعٌ يَدخُلُ فِي صَمِيمِ السِّيَاسَةِ الدَّولِيَّةِ فِي العَصرِ الحَالِي، وَمِن ثَمَّ فَالشُّكرُ مُقَدَّمٌ إِلَى الأَزهَرِ وَإِلَى إِمَامِهِ العَظِيمِ؛ لِاهتِمَامِهِم وَحَرَكَتِهِمِ النَّشِطَةِ لِمُوَاجَهَةِ الأَخطَارِ الكَبِيرَةِ الَّتِي يَتَحَمَّلُ بِهَا هَذَا المَوضُوعَ «الصِّرَاع الحَضَارِيّ»، طَرَفهُ الإِسلَامُ مِن جَانِبٍ وَالحَضَارَةُ الغَربِيَّةُ مِن جَانِبٍ آخَرَ، قَالَ الإِمَامُ فِي كَلِمَتِهِ حِينَ فَكَّرَ فِي الخِطَابِ الَّذِي يُوَجِّهُهُ إِلَينَا: إِنَّ حَالَتَهُ كَانَت تُشبِهُ حَالَةَ المُضطَرِّ لِلحَدِيثِ فِي مَوضُوعٍ مُكَرَّرٍ، المَوضُوعُ فِعلًا مُتَكَرِّرٌ، عُقِدَت فِيهِ نَدَوَاتٌ وَمُؤتَمَرَاتٌ وَنِقَاشَاتٌ كَثِيرَةٌ، قِيلَ فِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ -كَمَا ذَكَرَ الإِمَامُ- وَأَنَّ جُهدًا أَكبَرَ يَجِبُ أَن يُبذَلَ، وَأَنَّ هُنَاكَ عَقَبَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الحِوَارِ، هُنَاكَ عَقَبَاتٌ بِالفِعلِ مَوضُوعَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ تَجعَلُ الحِوَارَ أَحيَانًا كَمَن يَدخُلُ فِي دَائِرَةٍ مُفرغَةٍ؛ نَنتَهِي مِن حَيثُ بَدَأنَا، وَنَبدَأُ مِن حَيثُ انتَهَينَا، وَفِي النِّهَايَةِ لَا نَتَائِجَ مَلمُوسَةَ بَعدُ.
وَمِن ضِمنِ العَقَبَاتِ الغُمُوضُ الَّذِي يُعَانِي مِنهُ العَالَمُ الإِسلَامِيُّ وَالعَالَمُ الغَربِيُّ أَوِ الغَربُ، العَالَمُ الإِسلَامِيُّ عَالَمٌ وَاسِعُ المَدَى، مُتَرَامِي الأَطرَافِ مِن إِندُونِيسِيَا إِلَى مَالِيزِيَا إِلَى بَنجَلَادِشَ، إِلَى الهِندِ إِلَى بَاكِستَانَ وَأَفغَانِستَانَ وَإِيرَانَ وَالعَالَمِ العَرَبِيِّ، وَالتَّوَاجُدِ المُكَثَّفِ المُتَصَاعِدِ فِي قَارَّاتِ العَالَمِ الأُخرَى، هَل يُمكِنُ أَن نَتَحَدَّثَ نَحنُ المِائَةُ أَوِ المِائَتَانِ بِاسمِ هَذَا العَالَمِ المُتَرَامِي الأَطرَافِ، وَيَلتَزِمُ الكُلُّ بِقَرَارٍ نَتَّخِذُهُ أَو بَيَانٍ نُصدِرُهُ؟
هُنَاكَ صُعُوبَةٌ بَالِغَةٌ، هَذِهِ مِن ضِمنِ الصُّعُوبَاتِ وَالعَوَائِقِ الَّتِي أَعتَقِدُ أَنَّ الشَّيخَ الجَلِيلَ قَد تَحَدَّثَ عَنهَا، بِقَدرِ أَهَمِّيَّةِ هَذِهِ النَّدَوَاتِ وَالمُؤتَمَرَاتِ وَالنِّقَاشِ بَينَ العُلَمَاءِ وَالمُثَقَّفِينَ وَالأَسَاتِذَةِ وَالمُحَلِّلِينَ وَالخُبَرَاءِ هَذَا شَيءٌ ضَرُورِيٌّ، وَلَكِن مَاذَا عَنِ النَّاسِ؟ النَّاسُ فِي القُرَى، فِي المَسَاكِنِ، فِي النُّجُوعِ، النَّاسُ فِي الأَبعَادِ الهَائِلَةِ لِإِندُونِيسِيَا أَوِ الهِندِ، أَو قُل فِي هَذَا: دُوَلًا فِي أَمرِيكَا اللَّاتِينِيَّةِ، أَو فِي مَنَاطِقَ أُخرَى وَأَفرِيقِيَا، هَذَا التَّنَوُّعُ الهَائِلُ يَحتَاجُ إِلَى فِكرٍ وَاضِحٍ وَإِلَى مُنَاقَشَةٍ - كَمَا يَقُولُونَ - مُستَدَامَةٍ، لَيسَ مُؤتَمَرًا وَاحِدًا، وَلَا نَدوَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا نَدَوَاتٌ مُستَمِرَّةٌ، نَستَعِينُ بِذَلِكَ فِي مُختَلَفِ الجَامِعَاتِ فِي العَالَمِ، نَستَعِينُ بِالمُجتَمَعِ المَدَنِيِّ، نَستَعِينُ بِكَافَّةِ الأَدَوَاتِ الَّتِي مِنَ الضَّرُورِيِّ أَن نَلجَأَ إِلَيهَا، بَل أَن نُكَلِّفَ بِبَحثِ هَذَا الأَمرِ وَاستِدَامَةِ النِّقَاشِ فِيهِ، أَنَا أَعتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ مَبدَأَينِ عَظِيمَينِ مِن ضِمنِ مَبَادِئَ كَثِيرَةٍ

جَاءَت فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، الآيَةُ الَّتِي تَلَاهَا الإِمَامُ: بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " [الحُجُرات:١٣]، وآيَةٌ أُخْرَى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [الحج:١٧].

إِذًا نَحنُ مُهِمَّتُنَا -كَمُسلِمِينَ كَمُؤمِنِينَ- أَن نَتَعَارَفَ، أَن يَكُونَ التَّعَارُفُ، التَّوَاصُلُ، التَّفَاعُلُ هُوَ وَسِيلَتَنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، أَمَّا الَّذِي يَفصِلُ بَينَ هَذِهِ الأَديَانِ وَهَذِهِ الأَفكَارِ وَهَذِهِ الحَيَاةِ هُوَ اللَّهُ - تَعَالَى -: " إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أَي: لَيسَ نَحنُ الَّذِينَ نَفصِلُ فِي هَذَا الشَّأنِ، نَحنُ عَلَينَا أَن نَتَعَارَفَ، أَن نَنشُرَ هَذِهِ الثَّقَافَةَ.

فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ المُختَصَرَةِ أَوَدُّ أَن أُؤَكِّدَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ أَن نَعتَرِفَ بِأَخطَائِنَا أَو عُيُوبِنَا كَمَا أَشَارَ الإِمَامُ الأَكبَرُ، هَذِهِ هِيَ البِدَايَةُ فِي الوُقُوفِ ضِدَّ هَذِهِ الهَجمَةِ الخَطِرَةِ عَلَى الإِسلَامِ وَالفِكرِ الإِسلَامِيِّ وَالدِّينِ، وَأَنَا -الحَقِيقَة- يَجِبُ أَن أَكُونَ وَاضِحًا وَصَرِيحًا، إِنَّ هُنَاكَ صِرَاعًا حَضَارِيًّا، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، نَحنُ جُزءٌ مِن هَذَا الصِّرَاعِ لَا يَجِبُ أَن نَشكُوا، المَسأَلَةُ صِرَاعٌ سِيَاسِيٌّ وَحَضَارِيٌّ بَينَ الحَضَارَةِ الإِسلَامِيَّةِ وَغَيرِهَا، وَإِذَا كَانَ الكَاتِبُ وَالمُؤَلِّفُ وَالمُؤَرِّخُ «برنار لوس» الَّذِي أَشَارَ إِلَيهِ الإِمَامُ فِي خِطَابِهِ يَذكُرُ: «إِنَّ صِدَامَ الحَضَارَاتِ هُوَ مَظهَرٌ مُهِمٌّ لِلعَلَاقَاتِ الدَّولِيَّةِ الحَدِيثَةِ».

نَعَم.. إِنَّهُ مَظهَرٌ نَستَعِدُّ لَهُ بِالثَّقَافَةِ، بِالمَعرِفَةِ، بِالتَّحلِيلِ السَّلِيمِ، بِالمَوقِفِ الصَّامِدِ، وَأَيضًا بِأَن نَجمَعَ العَالَمَ الإِسلَامِيَّ مُتَرَامِي الأَطرَافِ هَذَا حَولَ فِكرٍ وَاحِدٍ، فِكرٍ مُتَقَدِّمٍ، نَحنُ نَعِيشُ القَرنَ الوَاحِدَ وَالعِشرِينَ، لَكِن لَدَينَا إِرثٌ عَظِيمٌ يَجِبُ أَن نَنطَلِقَ مِنهُ، وَأَن نُدَافِعَ عَنهُ، وَفِي الوَقتِ نَفسِهِ نَحنُ جَاهِزُونَ لِصِرَاعٍ حَضَارِيٍّ لِلقَرنِ الحَادِي وَالعِشرِينَ، أَحَدُ مَظَاهِرِ هَذَا الصِّرَاعِ هُوَ العَلَاقَةُ بَينَ أُورُوبَّا وَالإِسلَامِ.

***